

المناظرات الصرفية

أ.م.د. خليل محمد سعيد مخلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله
وصحبه أجمعين وبعد ...

فالمناظرة في اللغة والاصطلاح:

المناظرة والتناظر في اللغة بمعنى : التراوض في الأمر والمناظر: المقابل ، وتناظر: تقابل ، وتناظرا : تقابلا ،
وناظره: صار نظيراً له. والمناظرة : أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما في معاً كيف تأتينا . ونَظِيرُكَ الذي
يُراوِضُكَ وتُناظِرُهُ ونَظَرَهُ من المُنَاطِرَةِ والنَّظِيرُ المِثْلُ. ويقال ناظرت فلاناً: أي صرت نظيراً له في المخاطبة ،
وناظرت فلاناً بفلان ؛ أي جعلته نظيراً له . واستشهد صاحب اللسان بمناظرة ذي الرمة ورؤية.

أما المناظرة في كتب الاصطلاح ، فهي فنٌ قائم بنفسه وهي عند الغرب (Debate) ومعناها في العربية ، فنٌ
تبادل الآراء المختلفة أو المتعارضة في موضوع معين .

واختلف المتقدمون في (المناظرة) أعلم هي أم غير ذلك ؟ فذهب بعض المصنفين الى أنها علم آداب البحث ، أو
علم يبحث فيه كيفية ايراد الكلام بين المناظرين ، وموضوعه الأدلة ، من حيث أنها يثبت فيها المدعي على
الغير .

وذهب آخرون الى أنها ليست فناً مدوناً أو علماً قائماً بنفسه كما العلوم الأخرى ، قالوا: (علم المناظرة، وعلم
الخلاف والجدل ، لم يظهر إدراجهما في علوم المتشعبة ولا في علوم الفلاسفة).

وفرقوا بين المناظرة من جهة وبين الخلاف والجدل من جهة أخرى ، فقالوا : (الغرض من المناظرة إظهار
الصواب ، والغرض من الجدل والخلاف الإلزام) ، والحكام بنوا مباحثهم على المناظرة لكن لم يدونوا علم
المناظرة فيما بينهم .

وعدَّ الفقهاء "علم المناظرة" فرعاً من فروع أصول الفقه ، فقالوا : (من فروع أصول الفقه علم النظر ، وعلم
المناظرة ، وعلم الجدل).

وترتبط المناظرة عند المناطقة وأهل الفقه بالجدل ارتباطاً وثيقاً فرضته طبيعة العلاقة بينهما إلا أن الأول أخص
أي (علم المناظرة) وفائدته كثيرة في الأحكام العلمية والعملية من جهة الإلزام على المخالفين ودفع شكوكهم .

ورود المصطلح في القرآن الكريم :

لم يرد مصطلح (المناظرة) في القرآن الكريم بلفظه ولكنه ورد بمعانيه وصوره التي يبيّنها المفسرون في مناسبات

مختلفة ، فمنها لفظ (المجادلة) قال تعالى ﴿ وَجَدِلْتُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥) ، ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي

الْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٧) ، فالمجادلة : المناظرة والمخاصمة ولفظ (التحاج والاحتجاج) قال تعالى

﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٦) وقال ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ (البقرة: ٢٥٨) ، ولفظ (التحاور) قال

تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١) .

نشأة المناظرات وأسبابها

يبدو أن تفشي اللحن بعد ظهور الاسلام – لدخول الأعاجم في الدين الجديد – كان سبباً رئيساً في نشأة النحو ، تبعه بعد ذلك الخلاف بين النحاة بسبب تعدد الزوايا التي كانوا ينظرون من خلالها إلى مسائل النحو والصرف وقضاياها .

قال الفراء: أول لحن سمع بالعراق : هذه عصاتي بالياء ، قال الأزهري : ويقال للعصا : عصاه ، بالهاء ، يقال أخذت عصاته، قال: ومنهم من كره هذه اللغة ، وأنكرها الأصمعي ، وفي القرآن الكريم ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾ (طه: ١٨) .

لقد نشأت اللغة العربية في أحضان جزيرة العرب خالصة لأبنائها مذ ولدت نقية ، سليمة مما يشينها من أدران اللغات الأخرى ، وكانت فيها المنتديات الأدبية التي يجتمع فيها الخطباء والشعراء من مختلف القبائل والاجتماع للتناظر والتفاخر فكانوا يعرضون ما لهم من جيد الخطب وبديع الشعر ، أما أشهر الأسواق التي عرفت بهذه الفعاليات فهي عكاظ ومجنته وذو المجاز .

وقد عادت المقابلات الأدبية والمناظرات الشعرية على اللغة بفوائد جمّة عملت على تثبيت دعائم العربية وترسيخها ، فبقيت كذلك متينة متماسكة غير مشوبة بلوثة الأعاجم إلا بعد الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين .

وقد سجل التاريخ في عصر صدر الإسلام بعض الملاحظات النقدية الأولى في حياة المصطفى (ﷺ) وما بعدها مروراً بعصر الخلافة الراشدة والعصر الأموي حتى نهاية المئة الأولى للهجرة ومنها :

يروى أن قوماً من بني غَيَّان وفدوا على النبي (ﷺ) فقال لهم : من أنتم ؟ فقالوا بنو غَيَّان ، فقال لهم : بنو رَشْدَانَ فبناه على (فَعْلَان) علماً منه أن غَيَّانَ (فَعْلَان) وأنَّ (فَعْلَان) في كلامهم مما في آخره الألف والنون أكثر من (فَعَال) مما في آخره الألف والنون ، وتعليل رَشْدَانَ ، بطن من العرب ولو كان (غَيَّان) (فَعَالاً) من الغين وهو العطش لقال : بنو رَشَاد ، فدل قول النبي (ﷺ) أن (فَعْلَاناً) مما آخره ألف ونون أكثر من (فَعَال) .

روى أبو الطيب اللغوي في كتابه : (مراتب النحويين) أن أبا بكر (ﷺ) قال : (لأن أقرأ فأسقط أحبَّ إليَّ من أن أقرأ فألحن)

وروي العسكري عن ابن عمر (رضي الله عنهما) ، أنه قال: (مرّ عمر (رضي الله عنه) بقوم يرمون ، فقال : بئس ما رميتم ، فقالوا :إنا قومٌ متعلمين ، فقال عمر: والله لذنبكم في لحنكم أشدّ إليّ من ذنبكم في رميكم)

وقال ابن قتيبة : سمع أعرابيّ مؤذناً يقول: (أشهد أنّ محمداً رسول الله) بنصب رسول ، فقال: ويحك :ماذا فعلت؟ ودخل أعرابيّ السوق فسمعهم يلحنون ، فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون ، ونحن لا نلحن ولا نربح .

وقيل لعبد الملك بن مروان : أسرع إليك الشيب ، فقال :شيبني ارتقاء المنابر مخافة اللحن

ويروى أن الحجاج كان يعجب بفصاحة يحيى بن يعمر الليثي فسأله يوماً : أخبرني عن عنيسة بن سعيد : أيلحن؟ قال: كثيراً قال: أفأنا ألحن؟ قال: لحناً خفيفاً ، قال: كيف ذلك؟ قال: تجعل "أَنَّ - إِنَّ" ، "وَأَنَّ - وَأَنَّ" ونحو ذلك . قال: لا تساكني ببلد أخرج .

ويروى أنه ، أي: الحجاج ، أمّ قوماً فقرأ ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا﴾ (العاديات: ١) وقرأ في آخرها ﴿إِنَّ رَبَّهُم

بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (العاديات: ١١) بفتح همزة (أَنَّ) ثم تنبه على اللام في (لخبير) وأن (إِنَّ) قبلها لا تكون إلا مكسورة فحذف اللام من (لخبير) فقرأ (أَنَّ ربهم بهم يومئذ خبير) .

وكان للأمرء وأولي الأمر عناية بالعربية ، ومحاولتهم دفع غائلة اللحن عنها بتشجيعهم العلماء على التأليف والكتابة وعقد المجالس العلمية والأدبية المختلفة ، فقد روى الأصمعي أن (أربعة لم يلحنوا في جدّ ولا هزل ، وهم: الشعبي ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، وابن القرية ، والحجاج أفصحهم)

ولوقوع أمثلة المناظرات الأولى وكثرتها ، وفي أزمنة متقاربة ، يصعب تحديد أولاها على سبيل الفرض ؛ لأن مظاهر النقد محددة في صدر الاسلام وقد سبقتها ملاحظات نقدية كثيرة ما قبل الإسلام ، وكذلك لا يمكن الجزم أن مناظرة ما قد وقعت ، ولم تقع في الوقت نفسه مناظرة أخرى تُشبهها أو قريبة الي معناها .

ويمكن القول : إن المناظرات الأولى اتسمت باليسر لبعدها عن تعقيدات المتكلمين.

أسباب نشوء المناظرات

نشأت المناظرات بدوافع مختلفة أسهمت ملتبسة ببعضها في تطور منهجها وتنوعها ، ويمكن اجمال دوافع نشوء المناظرات بالآتي :

(١) الدافع الديني (٢) دوافع عصبية وسياسية (٣) دوافع اقتصادية (٤) دوافع علمية

(٥) دوافع نفسية واجتماعية (٦) دوافع عقديّة وفلسفية

أطوار المناظرات

يمكن تصنيف المناظرات بالطريقة التي صنّف بها المحدثون أطوار النحو ، وذلك بتحديد العلماء في كل طبقة بزمانها – فأطوار النحو أربعة هي :

- ١) طور الوضع والتكوين (بصري)
- ٢) طور النشوء والنمو (بصري كوفي)
- ٣) طور النضج والكمال (بصري كوفي)
- ٤) طور الترجيح والبسط في التصنيف (بغدادى أندلسي مصري شامي) - وهذا الأخير لا يعيننا

١- **مناظرات الطور الأول (بصرية – بصرية):** تبدأ من زمن أبي الأسود الدولي الى أول عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي . ولم يكن هناك ما ينتمي اليه مذهباً ، ولكن ذلك لا يعني أن أصحاب الفكر الواحد لا يختلفون أو لا يلتقون للتناظر في مسائل العربية المختلفة . وأبرز علماء هذا الطور أبو الأسود الدؤلي ، ونصر بن عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر ، وعبدالرحمن بن هرمز ، وأبو اسحاق الحضرمي ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، ومن المناظرات المشهورة في هذا الطور على سبيل المثال:

مناظرة يحيى بن يعمر مع الحجاج تقدم ذكر خبره في إحدى المناظرات ، ومناظرة يونس لعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ، قال يونس : مضيت الى عبد الله بن أبي اسحاق فقلت له: كيف تقرأ ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ﴾ (القيامة: ٧) فقال: فإذا برقَ البصرُ ، وفتح الراء فقامت من عنده الى أبي عمرو ، فقال : من أين بك؟ قلت : من عند عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي ، سألته كيف تقرأ ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ﴾ فقال: (فإذا برقَ البصرُ) بفتح الراء، فقال أبو عمرو : يقال: برقت السماء وبرقَ النباتُ ، وبرقت الأرضُ ، فأما البصرُ، فبرقُ ، كذا سمعنا .

٢- **مناظرات الطور الثاني (بصرية – كوفية):** تبدأ من عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي الى أول عصر المازني ، وتعدّ مناظرات هذا الطور مبدأ الاشتراك بين البلدين في النهوض بفن النحو ، والمنافسة في الظفر بشرفه فقد تلاقت الطبقة الثالثة البصرية برئاسة الخليل مع الأولى الكوفية بزعامة الرؤاسي ، تبعها الطبقة الرابعة من البصرة برئاسة سيوييه مع الطبقة الثانية من الكوفة برئاسة الكسائي ثم الخامسة والسادسة من البصرة مع الثالثة والرابعة من الكوفة ومن ذلك على سبيل المثال :

روى الزجاجي أن يحيى بن المبارك اليزيدي اجتمع بأبي عبيد الله معاوية بن عبد الله وزير المهدي والكسائي وكان حينها اليزيدي مؤدباً للمأمون والكسائي مؤدباً للأمين ، قال اليزيدي: فسألني أبو عبيد الله : ما تقول يا أبا محمد في الشراء ، مقصور أو ممدود ؟ قلت له : ممدود . قال فسأل الكسائي ، فقال: مقصور. قلتُ: أخطأ الكسائي ، قال: وكيف ذاك؟ قلتُ له: كيف تجمع شري ؟ قال : أشرية . قلتُ : فإنّ هذا دليل على أن شراء ممدود ؛ لأن كل ممدود جماعه بالهاء ، مثل قولك : كساء وأكسية ، وبناء وأبنية ، وسماء وأسمية ، وفناء وأفنية ، فقال الكسائي : ما سمعت أعرابياً الا وهو يقصره . فقلت: برح الحَفَاءُ ، ادعُ بالأعراب فهم ها هنا حولك – وقد كانت

اصابتهم مجاعة – فدعا منهم بعدة فدخلوا عليه . قال أبو محمد اليزيدي: فكلمت الأعراب الفصحاء ، وناشدتهم الشعر حتى عرفنا مذاهبهم في العلم ، ثم قلت للكسائي : ترضى أن يكونوا بيننا وبينك ؟ قال : نعم ، فقلت لأفصحهم: كيف تقول في الكلام : أكتب هذا في شراك . قال سبحان الله اكتب هذا في شراك فمد ، فخلج الكسائي .

٣- **مناظرات الطور الثالث (بصرية – كوفية):** تبدأ من عصر المازني البصري أمام الطبقة السادسة ، ويعقوب ابن السكيت الكوفي أمام الرابعة ، الى أواخر عصر المبرد البصري شيخ الطبقة السابعة ، وثعلب الكوفي شيخ الطبقة الخامسة ، من ذلك على سبيل المثال :

قال أبو القاسم الزجاجي : أخبرنا الزجاج قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد عن أبي عثمان قال : جمعني وابن السكيت بعض المجالس ، هو مجلس محمد بن عبد الملك الزيات ، فقال لي بعض من حضر: سله عن مسألة. وكان بيني وبين ابن السكيت ود ، فكرهت أن تهجمه بالسؤال العلمي بضعفه في النحو ، فلما ألح عليّ ، قلت له : ماذا تقول في قول الله عزّ وجلّ: **نَحْرُ نَحْرٍ** (يوسف: ٦٣) ما وزن نكتل من الفعل ؟ ولم جزمه؟ فقال : وزنه (نفعل) وجزمه ؛ لأنه جواب الأمر ، قلت له : فما ماضيه ؟ ففكّر وتثوّر ، فاستحييت له ، فلما خرجنا ، قال لي : ويحك ما حفظت الودّ ، خجلتني بين الجماعة ، فقلت : والله ما أعرف من القرآن أسهل منها . قال : وزن **نَكْتَلُ** (نَفَعِل) من **اَكْتَالُ يَكْتَالُ** وأصله **نَكْتَلُ** ، فقليت الياء ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت الألف لسكونها وسكون اللام فصار **نَكْتَلُ** .

أهمية المناظرة في الدرسين النحوي والصرفي

- ١- المناظرة تكسب الدليل الراجح شرعية للذويع والانتشار .
- ٢- المناظرة سبب من أسباب تأصيل الدرس النحوي والصرفي والتذكير بقواعده .
- ٣- ميزت المناظرات القواعد والمصطلحات التي تواضع عليها العلماء في كل مذهب ، وبينت تعليقاتهم وتوجيهاتهم التي تفردوا بها .
- ٤- أوردت المناظرات الاصطلاحات الخاصة التي سمعت من بعض النحاة لتبقى مهملة أو قليلة مهجورة (الفعل الواقع / الفعل المتعدي) ، (التفسير ، التبيين ، الترجمة / البدل) ، (البيان والتبيين / فك الإدغام)
- ٥- قدمت المناظرات أدلة مهمة تشير إلى أن أصل الخلاف ليس له علاقة دائمة بالجانب الفكري الموضوعي ، إذ إنّ أكثر الخلافات نشب واستعر بدوافع شخصية كالخصومة والطمع في نائل السلطان والرغبة في التفوق على الأقران والخصوم .

أسأل الله العظيم أن ينفع بها ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين